دراسات الأدب المعاصر، السنة الحادية عشرة، شتاء ۱۳۹۸، العدد الرابع والأربعون: صص ۹- ۳۲

تطبيقات نظرية خطاب السلطة لفوكو فی رواية «الزينی بركات»

تاريخ الوصول: ۹۸/۸/۱
تاريخ القبول: ۹۸/۱۱/۲

فاطمه اكبری*
كتايون فلاحی**
طاهره چالدره***

الملخص

اشتهر الفيلسوف الفرنسی *ميشيل فوكو* بتحليله للسلطة فقد ابتكر مفهوما جديداً للسلطة كان ضالة الجميع فإنّه تعامل مع السلطة بوصفها عملاً تبادليا ثنائيا منتجاً. كما تنتج أساليب مقاومته أشكالاً جديدة من السلوک. فيؤكد *فوكو* أن السلطة استراتيجية أكثر منها ملكية وليست حقاً تحتفظ به لنفسها الطبقة السائدة وإنّما هی شبكة من العلاقات تنتشر وتتطور فلا يعتبر *فوكو* السلطة وملابساتها علاقات تتشكل بين المواطنين أو بين سطوح الطبقات الاجتماعية، بل هی مجموعة علاقات تنتشر فی بنية المجتمع ككل ويقوم بها الجميع بشكل أو بآخر فيمارسها كلٌ من الأمراء والمهمشين. لقد عُرف *جمال الغيطانی* بقدرته على جعل فنه الروائی لصيقا بواقعه الحياتی وآلامه الفكری فروايته «الزينی بركات» من أبرز رواياته فی هذا المجال. بناءً على هذا، تسعى هذه الدراسة أن تقارب هذه الرواية موضحة أبرز المبادئ والأفكار الرئيسية المتعلقة بعلاقة القوة واللسطة بالمجتمع بمفهومه الفوكوی كما تناقش أهم مبررات السلطة فيها، متخذة المنهج الوصفی- التحليلی لتبيين ملامحها ومعالمها.

الكلمات الدليلية: الخطاب، السلطة، الزينی بركات، ميشيل فوكو، جمال الغيطانی.

* طالبة الدكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها، فرع گرمسار، جامعة آزاد الإسلامية، گرمسار، ايران.
fakbari5618@yahoo.com
** أستاذة مساعدة، فرع اللغة العربية وآدابها، فرع گرمسار، جامعة آزاد الإسلامية، گرمسار، ايران.
ktu.fahhahi@yahoo.com
*** أستاذة مساعدة، فرع اللغة العربية وآدابها، فرع گرمسار، جامعة آزاد الإسلامية، گرمسار، ايران.
الكاتبة المسؤولة: كتايون فلاحی

المقدمة

الخطاب مفهوم جديد فی مجال التطورات الفكرية والإجتماعية حيث أصبح ميدان إهتمام العلماء ونقاد الأدب والفلسفة والسياسة وعلم النفس وعلم النفس الإجتماعی والحقول الأخرى فی العقود الأخيرة.على أنّ هذا المفهوم له استعمالات عديدة فی الأدب الفلسفی- الإجتماعی فی القرون الوسطى ولاسيما فی العصر الحديث، وله جذور فی كتابات ميكيافيلی، *هوبز وروسو*؛ غير أنّه اختلف معناه لدى متفكرين *كإميل بنوينسة*، و*ميشل فوكو*، و*جاک دريدا* ومتفكرى الغرب المعاصرين الآخرين. وقد وصل هذا الإختلاف إلى أنّ الكُتاب والخطباء الجامعيين الغربيين يؤكّدون فی كتاباتهم وخُطبهم على أنّهم يستخدمون المفهوم هذا بمعناه الفوكوئیّ أو مابعد بنيويته فی العقدين الأخيرين. وقد ذكر فی الفارسية عدة معادلات لهذا المفهوم كـ«الكلام» و«الوعظ والخطابة» و«الدرس والبحث» و«المقال» و«الخطاب»؛ غير أنّ الذى جاء بمفهوم «الخطاب» لأول مرة كان *داريوش آشورى* وكان ذلک فی مقالته «نظرية التغرب وأزمة التفكير فی إيران»(آشورى، ١٣٦٨ش: ٦٠-٤٥٤). ولنظرية خطاب السلطة *لفوكو* أثرات عميقة وبارزة على تيّار الفكر والنقد. واتّبع خطاب السلطة فی فكرة *فوكو*، نظرية العلم، السلطة وكيان الحقيقة. وأصعب فكره المُستفهِم عملية التفكير من جهة كما أذاق الباحث لذّة التفكير من جهة أخرى.

حاول *فوكو* أن يذهب بالإنسان إلى أقاليم اللاتفكير حتى يكشف عن أشياء صامتة طبيعية. فعلى هذا نرى أفكاره مخالفة لكلّ ما يصطبغ بالعولمة والبداهة. وأما دوره ففی تعليمه الناس أنّهم أحرّ مما يزعمون وأنّهم يستطيعون أن يبحثوا مرة أخرى فی الأزمنة التأريخية التی قبلوها كحقيقة من جديد وينقدونها(فتاحی، ١٣٨٧ش: ٦٥). إحدى الحقول التی تؤدى إلى دراسة خطاب السلطة وتحليلها على أساس نظريات *فوكو* هی نقد الرواية. ومن الروايات العربية الحديثة المشهورة، رواية «الزينی بركات» للكاتب المصرى *جمال الغيطانی* التی تناولت قضية السلطة وماهيتها. وبما للرواية من سمعة وأهمية، قام المقال إلى كشف خطاب السلطة فيها وتحليلها وتمييز علاقات الخطاب فی نصّ الرواية على أساس نظريات *فوكو*؛ مستخدماً المنهج الوصفی- التحليلی ومن ثمّ مطالعة وكتابة المعلومات كتابة مكتبية، كما أنّ البيانات قد درست على أساس الإستدلال والمعلومات وأسس البحث النظرية.

خلفية البحث

تظهر نتائج البحث *لعليرضا كاهه*(٢٠١٨) الموسوم بـ«بنية الشخصية فى رواية الزينى بركات لجمال الغيطانى» بأن اعتمد الكاتب فى رسم الشخصيات والوظائف المسندة إليها على الراوى العليم الذى يقدّمها عبر صيغ متنوّعة أهمها: الخطاب غير المباشر الحر، والحوار، والراوى الخارجى، إلى جانب الاستفادة من المعلومات الواردة فى كتاب «بدائع الزهور فى عجائب الدهور» *لابن إياس*. وقد سعى الراوى بشكل لافت إلى بلورة الملامح الداخلية للشخصيات ما أدى إلى حجب الأوصاف الخارجية المحددة عنها. تعتمد المقالة على المنهج البنيوى لتحليل بنية الشخصية فى هذه الرواية من خلال تسليط الضوء على أشكال تقديم الشخصيات الرئيسية والفرعية فيها إلى جانب تبيين وظائف هذه الشخصيات. *عبدالجاسم الساعدى*(٢٠١٢) فى مقالته الموسوم بـ«سيكولوجية الإنسان المقهور فى الرواية العربية من خلال وليمة الأعشاب حيدر حيدر والزينى بركات جمال الغيطانى» يحاول فى دراسته التحليلية لسيكلوجية الإنسان المقهور فى الرواية العربية ملامسة أهم القضايا التى يواجهها الانسان من زوايا ورؤى مختلفة ومتقاطعة أيضاً، *ففرويد* المعلم فى البسيكولوجيا الحديثة، يؤكد أن الصراعات تحاصر الكائنات البشرية فى مختلف أحوالها وأنظمتها الاجتماعية، أى أنها ملازمة للبشر لا تقبل عنه إنفكاكاً. ويرد على الماركسيين بقوله أن العدوانية لم تخلقها الملكية، لكنه يقرّ بأن الملكية الخاصة تشكل أداة عدوانية قوية غير أنها ليست أقوى من الدوافع الجنسية والعدوانية الغريزية التى كما يراها تفوق وزن الحاجات والمصالح ذات الصفة الاجتماعية. ويوم تلغى الملكية الخاصة وتعود الثروات مشتركة بين الجميع، ويصبح فى وسع كل فرد أن يشارك فى الملذات التى توفر تلك الثروات أسبابها، تتلاشى العدوانية وروح الأذى السائدتان فى البشر.

ولكن لا يوجد أى بحث حول موضوع الحاضر.

صعوبات البحث

دراسة رواية تأريخية وكشف عناصرها القصصية وإجراؤها على ما فى الرواية من المشاكل الرئيسة التى واجهها الباحث طيل دراسة القصّة. هناك مشكلة أخرى فى دراسة رواية «الزينى بركات» وهى معرفة تأريخ مصر تعريفا دقيقا يستلزم الزمن الكافى من جهة

والمصادر الوافية من جهة أخرى. دراسة هذه الرواية من منظور خطاب السلطة *لفوكو* موضوع لم يتطرق إليه بعدُ، إلّا فيما شذّ وندر من ندوات النقد العابرة. فقلة المصادر من القيود العظمى التى تمكن الإشارة إليها.

ميشل فوكو

كان *ميشل فوكو* فيلسوفا مؤرخا وباحثا من أكبر العلماء تأثيرا وتُعدّ آثاره فى حقل مابعد البنيوية ومن ميزات فلسفته، تيار الوعى والإبهام ولا تنحصر آثاره فى أسلوب خاصّ ثابت أو كلام خاصّ وربما هذا هو السمة الوحيدة لعمله، يرى أنّ الماهية التى يمكن تعريفها عبر الزمن، هى نتيجة عملية السلطة القادرة والمهلكة؛ والجدير بالذكر أنّ فكرة *ميشل فوكو* تدعو دوما الإنسان إلى الأزمة والخلافات العديدة ويبقضه من نوم الدوغمائية والتحجر والتزمت. يريد *فوكو* فى الحقيقة أن يطرح أطر الثقافة المخفية، العلم والسلطة والحقيقة المنبوذة ومن ثمّ يبحث عنها ويحللها(ضميران، ١٣٨٩ش: ١٩٩).

اعتقد *فوكو* كباقى البنيويين ألّا يبحث كلّ شىء فى خفايا الذهن المظلمة بل يجب إيلاء الاهتمام للسياق والتكوينات الخارجة عن الذهن. يعدّ *فوكو* المحتوى لحدث الدلالى للعقل مسألة الإنسانوية الرئيسة ويدعى أنّ البحث عن حقيقة المعنى يتحقق ضمن المجتمع والثقافة؛ لكنّه خلافا لمدرسة البنيوية، يشكك فى صُور الذهن المقوعدة ويدعّى أنّ ظواهر الذهن والموضوع لها سلوك خاصّ وفريد، ومن ثمّ أدرک سماتها الخاصة فلم يسعَ لخلق نمط شكلى ومنتظم لسلويات الإنسان(المصدر نفسه: ۶).

هناک نظرتان حول السلطة فى العصر الحديث: ١.السلطة كتدخل وعمل أحادى الجانب على أساس القوّة والضغط على الآخرين. إعتقد *هابز* فى هذا المفهوم للسلطة وهو من أوائل الذين نظروا إلى السلطة نظرة سياسية، بأقسام للسلطة ألا وهى: السلطة الطبيعية أو الذاتية(سواء المواهب الجسدية أو العقلية) والسلطة السببية(كالمال، السمعة والأصدقاء) مستخدما تحليلا نفسيا عن زيادة طمع الإنسان فى قضية السلطة، كما إعتقد أنّ القدرة والقوّة وقبول القوانين والخوف من العقاب هى التى تمنع الإنسان من الطمع والزيادة(جونز، ١٣٩٥ش: ٧٢٥). هذا الفهم مبسوط فى تأريخ الفلسفة واسعا؛ الفهم الذى ينظر إلى السلطة كقوّة كميّة وميكانيكية حيث يستطيع أصحاب القدرة أن ينالوا إلى

مقاصدهم وأغراضهم. يرى *ماركس* أنّ السلطة حظّ يقبل على إنسان أو فريق منهم لإنجاز ما يريدون تحققه رغم مخالفة الآخرين(هيندس، ۲:۱۳۹۰ش). فعلى هذا، السلطة نوع اقتدار سيطر عليها شخص أو مؤسسة سياسية لممارسة القدرة على الآخرين(نظری، ۱۳۹۱ش: ۳۱).

۲.أما الإنطباع الثانی عن السلطة فيصورها تدخلا تعامليا ثنائيا. ففی هذه الرؤية للسلطة علاقة ثنائية تماما وهی تداخل ذو علاقة وليست امتلاک وسائل فقط. هذا الفهم من السلطة أكثر جدة من الرؤية السابقة؛ فهو ينظر إلى السلطة كنوع من المساوات وموازنة السلطة حيث تقدّر التغييرات. كتب *هانا آرنت*: «السلطة تساوی قدرة الإنسان لا للعمل فقط بل للتلاؤم مع الآخرين كذلک»(المصدر نفسه: ۳۲).

إنّ المقاومة بأنواعها ونفقات المواجهة معها هی نتيجة سيطرة السلطة التی فی رفضها نفقات زيادة لا تطمئن نتائجها. رأی *فوكو* أنّ دراسة السلطة هی دراسة علاقاتها وتدخلاتها العاملة المنبعثة منها؛ السلطة مولدة وتؤدی إلى أشكال جديدة من السلوک ويعتقد أنّ السلطة لا تستخدم الضغط والهلاک فقط، هلاک الضعيف بأيدی الأقوياء. ففی رأيه تعمل السلطة فی العلاقات اليومية بين الأشخاص والمنظّمات؛ إنّها مولدة تكشف عن ظهور السلوک بأشكال مختلفة؛ تنشیء المقاومة والسلطة علاقة ثنائية تظلّ على جميع العلاقات فی المجتمع(ميلز، ۱۳۹۲ش: ۶۱-۵۹).

الإطار النظری

يرى *فوكو* أنّ إبيستمة(العلم) مجال تأريخی خاصّ وإعادة استعراض العلوم؛ ثمّ يعرف هذا المصطلح كمجموعة علاقات متكاملة تجعل نشاطات خطابية لزمن ما، متوحدة تنجم عن ظهور الصور المعرفية والعلوم والأنظمة الشكلية المحتملة(مكاريک، ۱۶:۱۳۹۰ش).

فالذی يهمّنا فی تحليل نصّ ما، هو مكانة النصّ داخل النسيج الخطابی أو إبيستمة (علم) ومقتضی زمنه؛ فعلى رأی *فوكو* ليس الخطاب شيئا أبديا مطلوبا بل هناک خطابات تأريخية وزمانية. فالحقيقة تتغيّر فی كلّ زمن على أساس الخطاب القائم لذلک الزمن.

يؤمن *فوكو* فی مجال السلطة بالسلطات بدل السلطة الواحدة؛ ويرى أنّ للسلطة أشكالا مختلفة منها العائلية، الوطنية والعالمية؛ فهو القائل: «ليس المجتمع جسدا واحدا تعمل

فيه سلطة واحدة بل هو اجتماع السلطات المختلفة واتصالها وتلائمها التى تحافظ على بقائها»(فوكو، ۱۳۹۳ش: ۱۸۳).

ففى الواقع تطرّق *فوكو* إلى ذلک القسم من السلطة الذى لم يتطرق إليه أحد حتى الآن، أى المواضيع التى تمارس عليها السلطة(هيندس، ۱۳۹۰ش: ۱۱۷)، ويعلن أنّ علاقات السلطة لا تتشكل حيث لا مجال للمقاومة. ففى الحقيقة، السلطة لعبة التدخل بين الحريّات كما تكون لممارسة السلطة جهة أخرى ألا وهى رفض الإتّباع وأنواع المقاومة أمام السلطة. فدراسة السلطة لا تنحصر فى تحليل قدراتها الكمية بل هى دراسة تركيب النشاطات التى تؤثر على فعل الآخرين. هنا تظهر قضية العقل والعلم حيث اختلطت علاقات السلطة مع العلم وثيقا(المصدر نفسه: ۱۱۷).

أينما استخدمت السلطة، ولد العلم حيث لا توجد سلطة دون تشكيل مجال علمىّ كما لا يوجد علم لم يتضمن علاقة السلطة(دريفوس: ۲۴). يرى *فوكو* أنّ السلطة ليست شكلا من القمع فقط بل هى خالقة تسبب أحداثا ووقائع وسلوكا جديدة متنوعة. لم تزل المقاومة أمام السلطة تحدث بأشكال مختلفة. وضّح جيمز اسكات فى «السلطة وأساليب المقاومة» بعض علاقات السلطة كرعاية السلطان والرعية آداب التكلم والخطاب فى الحضور وتصرفاتهما المختلفة فى الغيبة. فالذى لا قدرة له يستهزىء أصحاب القدرة لدى زملائه أو يحبک قصصا حولهم؛ سمّى إسكات هذا الظرف «نقد السلطة فى غيبة السلطان» حيث يدوّن المُسيطَرون كتابا يبرّرون فيه العصيان العام، تأخير الشؤون والسرقة ومن ثمّ يؤدونه كما يقول السلطان عن مصائبه للسيطرة عليهم ومراعاة الشكل الصارم المبرم (ميلز، ۱۳۹۲ش: ۱-۷۰). فالسلطة فى رأى *فوكو* شىء مقضى عليه وهى إلى الحلّ أشبه منه إلى الملک؛ بعبارة أخرى يجب أن نعتبر السلطة فعلا ولا اسما. كما أنّ السلطة تعمل مسلسلة وجماعية لا فردية. السلطة خالقة تنجم عن أشكال جديدة من الآداب والسلوک؛ إنّها كشعيرة حضرت حتى فى أصغر أجزاء المجتمع وأخفاها وتفرض عقليتها بأساليب مختلفة على جسد المجتمع.

كانت أساليب الحكم فى قديم الأيام تنشأ عن السيطرة والتخويف. يرى *فوكو* أنّ أساليب السلطة القديمة تشمل النظم من خلال السيطرة والقساوة، القانون والعقاب، التقاليد والراعى السلطة.

أهمية نظرية خطاب السلطة لفوكو

إنّ لمقولة «خطاب السلطة» *لفوكو* أهمية هائلة بما كان له من تأثير جليل على مسار النقد والفكر. فخطاب السلطة الفوكویّ نبع من نظرية «المعرفة والسلطة وكيان الحقيقة» (فتاحی،١٣٨٧ش: ۶۵). لقد قام *فوكو* على أساس التحليل الخطابی بدراسة علاقات السلطة ولمّا كان عرض أية فكرة نظرية من جانبه تكون فی نهاية المطاف تبياناً لرؤيته لخطاب السلطة، فكان مفهوم الهيتروتوبيا(الانتباز الفضايی) هو أيضاً تأكيد لأفكاره السابقة فی هذا الصدد. حيث تعيد دراسة الآليات العملية للسلطة عبر توصيف موقف المكان من البيئة الجغرافية الإنسانية (ن.م).

وبما قدّمه *فوكو* من تحليل وفهم خاص لمسألة خطاب السلطة فقد تبنّی الكثير من المفكرين آراءه وأفكاره أساساً ومعياراً لأفكاره الجديدة فی نقد السلطة، فهذا *إدوارد سعيد*- على سبيل المثال وليس الحصر- الذی كتب قاعدة كتابه «الإستشراق» على هذا المفهوم يقول قائلاً «لا يُدرَک مفهوم الإستشراق إلا أن يتمّ درسها كخطاب... وذلک بمفهومه الفوكويی»(عضدانلو، ١٣٨٠ش: ١۴).

رواية الزينی بركات

والرواية تتناول مشاكل الحياة ومواقف الإنسان منها فی ظل التطور الحضاری السريع الذی شهده المجتمع الإنسانی خلال هذا القرن(شوندی وكريم، ١۴٣٢: ۵٢).

تعدّ رواية «الزينی بركات» لكاتبه *جمال الغيطانی* واحدة من أشر الروايات فی الأدب العربی وتراثه، والتی حظيت بما لا تحظی به غيرها من الروايات إلا ما ندر. فهذه رواية عالج *فيها الغيطانی* ظاهرة القمع السياسی والخوف والقهر كما أشار إلى أسباب تفشيه وبيّن مظاهره المركّبة. تدور الرواية حول شخصية تدعى "الزينی" والذی كان يعمل كبيرا لجماعة البصاصين أو رئيساً للمخبرين. كما تولّی بعده منصب والی القاهرة. كان الزينی يتحلی بالعفة والأمانة والنشاط والحماسة لكنه من أجل أن يحافظ على ولايته ويدير شؤونها بشكل حازم ويمنع السرقات ونهب التجار، كان لابدّ أن يطلع على ما يدور بداخل كل البيوت وفی كل شیء. إنّها رواية تاريخية أخذت مادتها من التاريخ ليسقط الماضی على الحاضر وذاک بشخصيات لها خلفية تاريخية *كعلی بن الجود* و *سعيد الجهينی*

و*زکریا بن راضی* لتحملهم أحداث الرواية من الخصومة والتنافی إلی جانب حوارهم فی العدالة والسلطة والبصاصة. فـ«الزینی برکات» یبذل قصاری جهده فی الحفاظ علی السلطة مما یدفعه إلی إبداع أسالیب غریبة من قمع المعارضین وتصفیة إجسادهم والتمسک بآخر أسالیب البصاصة. ومن بین تلک الشخثیات التی بصراعه المستمر مع الزینی تدفع نصّ الروایة إلی الأمام وتحرّک أحداثها هی شخصیة "زکریا بن راضی" رئیس جهاز البصاصة. کذلک شخصیة "سعید الجهینی" الذی یلعب فی الروایة دور المعارض والمصلح حیث مثّل هو بأفکاره وآرائه قسطاً من أفکار وآراء المثقفین المصریین المعاصرین ویرمز إلیها.

۱. السلطة والشرعیة

إنّ بحوثات *فوکو* الانتقادیة فی خطاب السلطة تمّ إجرائها بهدف إماطة اللثام عن وجه السلطة. فإنّه کان یحاول أن یکشف حضور إرادة السلطة الخفیة المالکة خلف ستار تظاهر المجتمع الدیمقراطی والشعب فی المؤسسات المعاصرة الحدیثة، سوف تنصاع لاإرادیا للسلطة تحت عناوین الحقیقة أو الحریة، إذ لا یقوم المجتمع البشری إلا علی نظام السلطة فانهیار نظام اجتماعی یواجهنا مع نظام سلطة أخر(فولادوند، ۱۳۷۲ش: ۳۰-۲۹).

بالنظر إلی أنّ کل نظام سلطة له تعریفه وتفسیره للحقیقة، فإن الهروب من السلطة إلی الحریة یبدو مجرد حلم. حیث یمکن فهم هذه الرؤیة من الصفحات الأخیرة لروایة «الزینی برکات» خاصة فی قسم "خارج السرادقات" حین صوّر الراوی القاهرة بعد کلّ الأحداث التی جرت علیها کمدینة میّتة ویائسة(الغیطانی، ۱۹۹۴م: ۲۸۱).

یری *الغیطانی* أن السلطة فی البلدان العربیة تکون فی قبضة طبقة مالکة فاسدة مستغلة. حتی الثورة وأفکار الثوار تقع فی هیمنة اللاوعی لهذه الطبقة، کما تتمّ الإدارة غیر المباشرة للشؤون السیاسیة للمحافظات عن طریق تبعیة المرتزقة من نوایا سلطة الحاکم الهائلة حیث یشبه الهیکل السیاسی لهذه المحافظات، علی الرغم من اختلاف الولاة، هیکل العاصمة التی یقوم فیه السلطة الحاکمة(مهدوی، ۱۳۸۹ش: ۶). وأیّ نقل لأسالیب السلطة عن طریق تعیین العملاء والموالین وتولیتهم علی المحافظات یکون من القضایا التی تجسّدُ إشکالیة السلطة بشکل أوضح فی هذه الروایة(الغیطانی، ۱۹۹۴م:

١٨٧-١٨٨). و قد أكّد *الغيطانی* فی روايته على زيف التقشف والزهد والورع كأدوات خدعة وغوغائية يتظاهر بها الجهاز السلطوی لكسب الشعبية والشرعية عند الطبقة المهمّشة:

«على مرأى من الأمراء فی حضور جمع عظيم طلب الزينی بركات بصوت خدشه التأثر أن يعفيه مولاه من وظيفة الحسبة قال بصوت مرتجف الحسبة يا مولای ولاية يؤتمن صاحبها على أحوال العباد، وحاشا لله أن أجد فی نفسی القدرة على هذا أنا عبد فقير لا أطيق وصايتی عل إنسان أتمنی انقضاء عمری فی أمن وسلام بعيدا عن أمور الحكم ما أريده قدرة آمنة لا يقلقنی فيها سب انسان أو سخط مظلوم غفلة عنه ولم أنصفه من ظالمه» (الغيطانی، ١٩٩٤م: ٤١)

فرواية «الزينی بركات» كشاشة سينمائية تقوم بنقد ما يجری فی البلدان العربية من عنف ومكر وقهر وتقرأ لا شعور السلطة وخلفيات الاستبداد، وهی بذلک تكشف عن خفايا خداع أصحاب اللسلطة وتزويرها كما تشير إلى أنواع أساليب الحيل التی تتمسک بها تلک الطبقة المتحكمة للتحايل على القانون وتجاوزه، تلک الظاهرة التی تشيع فی بنية السلطة الفاسدة الملتوية لعديد من دول المنطقة. يبدو *الغيطانی* فی هذه الرواية وكأنّه سياسی بارع متمكن عايَشَ لسنين مع أصحاب السلطة حيثُ يدرس ويعالج بنظرته الحادة ما يجری ويسری فی العالم السياسی لهذه البلدان وأنظمتها الحكومية:

«يا أمة المسلمين... يا أهالی مصر...أتوجه إليكم برجاء، أبلغونا حال وقوعكم على أیّ إنسان يكتنز المال من دم المسلمين لا تُقبل أبداً أن يجوع الخلق وتستمع قلت أبلغونا مهما علا قدر مكتنز الذهب والفضة والبغال والعبيد والجواری أخذنا لكم الحق منه»(المصدر نفسه: ١٣٢).

إن *الغيطانی* يصور خداعات الطبقة المالكة بطريقة تثير لدى القارئ الإحساس بالكراهية والنفور من ازدواجية سلوكيات الساسة المسيطرين وتخطيطات الطبقة الحاكمة كما يحيی فيه روح الوعی ويفعّل عنده التعقل والتحرز:

«ضحک الزينی عال... عال... واخبار الصلاة ابتسم زكريا يدی قبلة الشفاة.. تزايد ضحک الزينی امع يا زكريا لا بدّ أن تختل مكانة فی قلوبهم أكبر غدا اركب حصانک دع رجلا من رجالک، يرتدی ملابس فلاح وآخر من رجالک

فی ملابس مملوک لیضرب الثانی الأول ضربا فظیعا وطبعا یتصادف عبور موکبک هنا ترجّل أنت أنصف الفلاح، واقبض علی المملوک أکثر من أشباه هذا یحببک الله الی قلوب الخلق وعندما یصل البصاصون یجدون لأول مرة فی تاریخ الإنسان بصاصا عظیما لا یتقن عمله فحسب، إنما یحبه الخلق ویحترمونه هذا یساعدنا فی نشر العدالة وإقامة المیزان»(المصدر نفسه: ۱۹۴).

۲. السلطة والمعرفة

«إنّ السلطة هی قدرة الإنسان علی التعامل مع الآخرین ولیست للممارسة فقط» (نظری، ۱۳۹۱ش: ۲۳) وهذا النوع من السلطة التی عبّر عنها *دینیس رونج* بـ«القدرة التعاملیة» لا تشیر إلی القدرة الکمیة للسلطة، وإنما تدرس السلطة فی تنظیم ومنظومة متماسکة من نظام عامٍ لإجراءات یؤثّر بعضها علی بعض. فإنّ أنواع المقاومة والتهرب وتکلفة مواجهتها هی فی الواقع تکون نتیجة لممارسة سلطة تتبعها آثار لیست عواقبها مضمونة والذی عادة ما یکون بسبب التمرد.

یعتقد *فوکو* أنّ درس السلطة یتم عن طریق درس علاقات السلطة والإجراءات التفاعلیة الناتجة عنها. فالسلطة منتجة وتخلق أشکالاً جدیدة من السلوک کما أنها تتناغم عمیقا مع المعرفة وأشکال الحقیقة ومرتبطة بهما، یری *فوکو* أن السلطة لیست القمع والرعب وکما لیست تصفیة الضعیف علی ید القوی. فالسلطة فی رأیه تمارس فی إطار العلاقات الیومیة بین الأفراد والمؤسسات فی منتجة لأنها تسبب فی ظهور أشکال جدیدة من السلوک، وتخلق المقاومة باعتبارها علاقة ثنائیة الاتجاه تلقی بظلالها علی جمیع العلاقات داخل الجسم الاجتماعی(میلز، ۱۳۹۲ش: ۵۳-۶۱).

یؤکد *فوکو* أن السلطة والمعرفة یرتبط بعضهما ببعض حیث یصعب وقد یستحیل أن تتمّ ممارسة السلطة بلا معرفة أو أن لا مصدر معرفة. فلیست المعرفة بحثاً نزیهاً عن الحقیقة وإنما هی السلطة التی تخوض عملیة المعلومات وبالتالی تحدّد ما یحقّ اعتباره حقیقةً(المصدر نفسه: ۱۲۰). فإنّ ترکیب الأعمال التی تؤثر علی سلوکیات الآخرین هو الذی یعرّف السلطة ویشکّلها. فعلاقات السلطة عند *فوکو* متبادلة وغیر مستقرة وقابلة

للرجوع. كما ركز هو على طرق السلطة وعقلانيتها على وجه الخصوص(هيندس، ١٣٩٠ش: ١١٢-١١٣).

إنّ *الغيطانی* كذلک يؤكد على أنّ السلطة وليدة المعرفة؛ ولأمته سلطة لأنهم يفقدون المعرفة فمن منظوره لم يتقدم الغرب دون العالم الثالث إلا بإقباله على الحقيقة واهتمامه بالمعرفة والتطورات الحضارية. إنّ *الغيطانی* يجسّد شعبه ولا بل قل أكثر الناس فی الشرق شعبا مهمشين ومقهورين بما تجاهلوا المعرفة وتكاسلوا عنها وتقاعدوا. فهو يعتبر السلطة قوة مؤثرة وفعالة لما تتمتع به من تأثير وإشراف وعلمٍ للعلاقات المتنوعة أخصها وأعمها. فهذا الزينی بركات كبير بصاصی مصر يبين لهم فی نهاية خطابته أنّ سرّ قوته واستمرارها يكمن فی العلم والمعرفة:

«فما ذكرته أخيرا أخيله تراودنا لكن عندما يصير الأمر حقيقة فسوف يقول بصاصو الأزمان المقبلة انظروا كان أسلافنا أبعد نظراً وأشد عزماً»(الغيطانی، ١٩٩٤م: ٢٣٤-٢٣٥).

تعدّ علاقة العناصر والقوى فی أداء وممارسة السلطة قلب تناول *فوكو* لخطاب السلطة وجوهره. يرى *فوكو* السلطة كشبكة غير متجانسة من إستراتيجيات وتكتيكات تنتشر فی كل الجسم الاجتماعی، «مجموعة عنقودية شاملة من العلاقات» التی تنطوی فی ممارسات السلطة. وبالتالی ليست السلطة ملكاً(يقصد به الملكية الشرعية فی العلاقات القانونية للعقود والقواعد) لفئة أو طبقة أو مؤسسة خاصة. على عكس *فوكو فالغيطانی* يحاول أن يروّج لفكرة أنّ المعرفة يتمّ تداولها حصرياً بين الطبقة المتميزة التی تمثّل مركز السلطة الحصریّ، والمهمّشون لا يسعهم إحراز المعرفة التی هی تتنج السلطة فی العصر الحديث. ويبين كيف تستغلّ الطبقة المالكة جهل المهمشين وسذاجتهم فی سبيل تحقيق مصالحها الخاصة(المرجع نفسه: ٣١-٣٣) كما ينصّ على أنّ المعرفة يتمّ إنتاجها فی ظلّ علاقات السلطة التی توظّفها الطبقة المالكة بالمحصلة فی صالحها الخاص ويجعلها الحكام فی نطاق عملهم.

إنّ *الغيطانی* يدرک هذا الأمر جيداً فهو فی نقده للسطلة يشير إلى نقطة فی غاية الدقة ألا وهی خشية الطبقة المالكة من انهيار سلطتها عبر معرفة الناس ووعيهم؛ فإنها تعلم أن سلطتها قامت على أسس هشّة وزائفة من النفاق والتزوير والتلصص. فكلما اهتزّت هذه

الأسس بازدیاد معرفة الناس التی لها أن تجلب لهم القوة فسرعان ما تتداعی أرکان سلطتها وتنهار:

«فی المدة المنقضیة علی ولایتی للحسبة لاحت طلوع حکایات بین الحین والحین تنتقل بین الناس الغرضُ منها التشهیر بدحد کبار رجال السلطنة ومنی شخصیا، وهذا أمر تتفق معی علی ضرورة مقاومته وإزالة أسبابه حفاضا علی هیبة الأمراء والرجال الأکابر»(المرجع نفسه: ۱۵۴).

۳. السلطة والعدالة والحریة

لا تعنی السلطة فی رؤیة *فوکو* کمدلول لسیادة الدولة، قواعد القوانین ووحدة السیادة فإنها فی معظمها مظاهر نهائیة للسلطة. فالسلطة لیست مؤسسةً أو قدرة محددة لفرد أو جماعة بل هی تتحق فی سیاق علاقات غیر متکافئة وغیر مستقرة. بناء علی تحلیل *فوکو* للسلطة فهی تمارس فی ظلّ مفاهیم «الحریة» و«الأمن» و«العدالة»؛ فی الواقع هناک علاقات معقدة ومتشابکة بین الحریة والأمن والسلطة(محمدی، ۱۳۹۸ش) حیث نری السلطة قی تتحمس للحریة والأمن والعدالة، بید أن هذه المفاهیم تصبح عند المجتمعات التی نمت السلطة فیها نموّا غیر طبیعیاً، ألعوبة بأیدی الطبقة المالکة تحدّها بشتی أسالیب التحکم.

کذالک *الغیطانی* فهو إلی جانب عدم توثقه من الحقائق العامّة یری أنّ مفهوم الحریة والعدالة هو من بین تلک المفاهیم الکلیة والحقائق العامّة التی تمّ اختراعها من قبل المجتمعات المختلفة کوسیلة لاکتساب السلطة الاقتصادیة والسیاسیة أو کسلاحٍ ضد ممارسات السلطة. فإنّه یسرد لنا فی روایته «الزینی برکات» عالماً تفسخ فیه الأمن وتقدّم الدولة التی تقوم علی جهاز الأمن کـ«شرفٍ ملکی». فی الواقع تکون روایة «الزینی برکات» قصة للتناقضات والصراعات الداخلیة الحکومیة مع کبیر البصاصیین "زکریا بن راضی»:

«رجالها وشیوخها ونساءها وغلمانها وجواریها وبیوت الخطأ فیها وشرطتها وعسسها وفقهاءها وحماماتها وأسواقها وخاناتها وطوائفها ومغنیاتها وملاهیها وأسماء الأروام المقیمین والقادمین والراحلین والإفرنج العابرین ومن یتصل

بهم يتردد عليهم من المصريين كل أمر كبير أو صغير هنا أما الأمراء وأعيان الناس ومشاهير الخلق فكل ما يتعلق بهم أمزجتهم وعاداتهم مشاربهم أواؤهم ما مر بهم من أفراح وأتراح كله هنا يقول زكريا متباهيا هذا القسم فى الديوان مفخرة للسلطان وغرة فى جبين السلطة المصرية لم يحدث قط أن أعد شيء كهذا فى تاريخ أى بصاص مصرى أو إفرنجى وبإذن الله العليم القريب سيجيء يوم يصبح لكل إنسان قسم خاص به يلخصه منذ آهة الميلاد حتى رعشة الموت»(غيطانى، ١٩٩٤م: ١١).

فمن ناحية أخرى، تتحدث شخصيات الرواية فى معظم الأحيان عن شخصية مهيمنة على مسار حياتهم بقبضته الحديدية؛ وهذا الرمز السلطوى لا هو يقدّم نفسه ولا غيره يجسّد ملامحه فهو شخصية غامضة ضبابية، وكلّ ما هنالك هو الشعور المقذع بالمراقبة المستمرة والتنصت الدائم لا يخضعان للزمان والمكان:

«نظام دقيق استحدثه يتفاخر به على البصاصيين فى أنحاء الدول والإمارات كل حمامة تعرف أى الطرق تسلك لا تطير فوق بيت فيه إنسان فوق قافلة فى الصحراء، إنما تعير الخراب إلى أهدافها ولو طال بها الزمن اليوم ستطير الأسراب ليعلم المباشرون وأصحاب الإقطاعات والمشايخ البلاد حتى العامة من الناس الذين خدعوا فى الزينى أى خطأ أتاه السلطان عندما ولى على أم الإسلام فى مصر رجل لا يعرف له أصل ولا فصل لم يره أحد يصلى جماعة فى يوم جمعة يظهر العدل»(المصدر نفسه: ٩٨).

فزكريا شخصية قوية صلبة ذو بأس شديدٍ يمثل وجه التنفيذ للسلطة، حيث يكون كحاكم سحرى مستعداً لمواجهة أى خداع بقدرته الأسطورية فلا يفلت من سطوته أحد ولا يسلم من فخاخه الهارب؛ إنه صورة لديكتاتور يقتحم كل زاوية ويسلّط هيمنته على كل شيء كما لا يحمى حرية الأفراد ولا يصون حرماتها فلا يسلم منهم أحد من دسائسه حتى أدق أسرار الناس وأصغرتفاصيلها مباحة له:

«فوق منبر الأزهر القديم وقف المسجد يفيض بالخلق من كل لون وصنف زعقوا فارتجت الأعمدة وكادت الأذان تبدأ وكأن كل قوة ستعجز عن إسكاتهم لكن الزينى رفع يده اليمنى مفرودة الأصابع(يده عادية أصابعه

خمس) وكأن قوة سحرية تسيل منه طاف الصمت مغلقاً أفواه الناس» (المرجع نفسه: ۶۲).

ففی السرادق الثالث، يأمر الزينی بركات كبير البصاصين بتحضير قائمة كاملة من الأفراد ووظائفهم وتسجيل أسمائهم فی سجلات منتظمة حيث تسهل متابعتهم دائما. فهو كذلک قام بتحديث إعداد تقارير التجسس فألزم كل بصاص أن يلصق على صدره ملصقا يحتوی على رقمه فی القائمة(المرجع نفسه: ۱۵۲ -۱۵۵). إن هذه التقنيات الجديدة تركز على تحويل الدولة الی مؤسسة بديلة عن النكير والمنكر بينما كان لنكير والمنكر ملكان غائبان حوّلتهما الحكومة الزينية إلى أداة التحكم والمراقبة المرئية.

۴. السلطة والمهمّش

تكون طبقة المهمّش وحالتهم من المفاهيم التی تحتلّ مكاناً بارزاً فی رؤية *فوكو* النقدية للسلطة وتحظی ببالغ اهتمامه. فالمهمّش يطلق بصريح معناه على اولئک الذين يكونون من السلّم الاجتماعی بموضع أسفل(محمدی: ۱۳۹۸ش). بعبارة أخری، يعدم المهمّش السلطة والنفوذ من قبل الفئات المتسلطة ويكونون هم الأقلية ويقصد من الأقلية استبعادهم من لعب أی دور وإقصاؤهم من مراكز السلطة ومن مصادر السيطرة على الأموال فقد تكون مجموعة من حيث عددها ضمن الأكثرية لكنها تعدّ من المهمشين بسبب تهميشها من قبل المجموعات المتحكمة كالنساء.

إنّ رواية «الزينی بركات» قصة حياة أولئک الذين يعيشون فی الطبقات السفلی من المجتمع؛ تلک الطبقة المحرومة التی يهيمن عليها ويسيطر النظام الرأسمالی والإيديولوجيات المتحكمة على المجتمع. ومن المواضيع التی انصبّ اهتمام *الغيطانی* عليها فی هذه الرواية هو انفتاح باب نشر الإشاعات وترويجها على مصراعيها بين الطبقة المهمّشة وما يحظی به من تأثير وقوة فی تحدی السلطة فی المجتمعات العربية:

«ليلة أمس لم ينم الخلق الدكاكين لم تغلق لحظة أصحابها يجلسون أمامها الأمراء أغلقوا بيوتهم دقوا الطبلخانة وقتا أطول من المعتاد بعد العشاء حتی أرتجت المدينة بينما تجیء الأخبار وتروح كموج البحر الكبير يلمس صخر اليالبسة ثم يرتد عنه»(المرجع نفسه: ۵۰).

فالمهمّشون فی روایة «الزینی برکات» رغم ما یتمتعون به من اللباقة والخبرة والمواهب لیس ولن یکون بإمکانهم التقرب من مقاعد السلطة، والوصول إلی أعلی درجاتها فلا تزال السلطة تداولها الطبقة العلیا والمسیطرة بین أیدیها، فعلی سبیبل المثال، عندما ننظر إلی أداء الزینی برکات وسلوکه، نراه کان یحاول نشر العدالة والحفاظ علی الناس وحقوقهم غیر أنّه لما تولّی الحسبة أبقی زکریا بن راضی کبیر البصاصین فی منصبه وعمله کنائبه، وفوق ذلک لقّبه بـ"شهاب" وهو الذی یعدّ من رموز الظلم والقمع والاضطهاد والفساد فی البلد(المرجع نفسه: ۳۱- ۳۸).

وتجدر الإشارة إلی أنّ الشخصیات الثانویة لروایة «الزینی برکات» التی تتمثل کذلک نموذجاً مصغّراً من المجتمع الخارجی، تنتمی جمیعها إلی الطبقة المهمّشة التی تلهث وراء استرداد حقها السلیب، ولکن لمّا لا یملکون الوعی الاجتماعی ولا یعلمون أسلوب الاحتجاج السلیم فیطبق علی حرکتهم الاعتراضیة من قبل البصاصین وعناصر السلطة ورجالها.*فالغیطانی* بجعله تمییز الأمکنة بین المهمشین والطبقة العلیا قام بتعزیز تقسیم الطبقات الاجتماعیة. إنّ هذا التقسیم فی مجال الأدب یؤکّد علی قراءة الصمت فی الأرشفة والأصوات التی دفنت تحت الکم الهائل من السیاسات کما یصرّ علی فصل الماضی من التاریخ إلی جانب تقویة الاختلاف بدلاً من التشابه، ونقد صیاغة خطاب السلطة فی التأریخ الرسمی وإحیاء الإمکانیات الأصیلة مقابل الزائفة. فالصورة التی یقوم *الغیطانی* بتصویر الطبقة المهمشة فیها یظهر بوضوح سمات تلک الفئة وینصّ علی عناصرها:

«دکان لانضی دکان البهجوری بالحسینیة ودکان یونس بالفسطاط ودکان ابو الغیز فی بولاق الدکان الأول والثانی من أکبر دکاکین الحلبة والجنزیل والنراجیل فی مصر وروادهما من میسوری الحال، ویبدأ شرب الکیف فیها بعد العشاء أما الثالث والرابع فشأنهما ضئیل وروادهما من أسافل القوم جلهم من الفعلة»(المرجع نفسه: ۹۳).

۵. السلطة والتعارض

یمثل التعارض فی مجال السلطة تقطة هامّة فی انطلاقة *فوکو* لتحلیل السلطة، فیری *فوکو* أنّ نقطة الانطلاق الأکثر فعالیة وواقعیة لمناهضة السلطة هی التریکز علی

التعارضات وعلاقات السلطة، وانطلاقاً من رؤيته التحليلية هذه للسلطة والتى تعتمد على فهم تصاعدى أى من الأسفل إلى الأعلى، يطرح *فوكو* ويقدّم كفيلسوف مهمل للعمل. فهذا هوذا يؤكد فى سبيل تبيين نظرته الانتقادية بوجه عليه أن يفيد لأولئك الذين يعملون فى سياق التخطيط المؤسسى قائلاً: صحيح أن هناك أفراداً كالذين يشتغلون فى السياقات المؤسسية للسجون... ليس بإمكانهم أن يجدوا فى كتاباتى توصية أو تعليمات تدلّهم على «ما يجب القيام به»(ميلير، ۱۹۹۳م: ۲۳۵). وكذلك الصراع فى رواية «الزينى بركات» دائر بين المحورين «الذات» و«الآخر.» *فالغيطانى* يعيد فى كتاباته بناء تقابلاتٍ ثنائية ويقوم بتنشيط معانٍ جديدة كانت منسية أو تمّ تهميشها لسنوات. بناءً على هذا، يتمّ تجسيد شخصية سعيد الجهنى كشخصية معارضة و«ذات» بلون أبيض كما يتمّ تصوير الزينى وزكريا كشخصيتين غامضتين ومعقدتين و«الآخر» بلون أسود، رغم ما يبذله *الغيطانى* من جهدٍ لإضافة شخصيات رمادية إلى الرواية إلا أنّ هيمنة الخطاب الإيدئولوجى ونقد مساوئ «الآخر» وسلبياتها فى آثاره واضحة، فالآخر فى هذه الرواية يشير إلى السلطة المالكة والسلطة الاستغلالية والنظام التحكمى الرقابى بل وإلى كلّ ما تفرضه الطبقة الحاكمة على الشعب. *فالغيطانى* يصور «الذات» دائماً بلون أبيض و«الآخر» بلون أسود. فمن منظوره يطبق الذات على الشخصيات القيمية التى تستند إلى القيم والمعتقدات، كما الآخر تنضوى تحته تلك الشخصيات التى لا يزعه وازع فى انتهاك القيم وإهدارها. فيُقرؤنا *الغيطانى* فى روايته:

> «هل يوجد أتباع لناكر ونكير لو دفن رجلان فى وقت واحد كيف يستجوبانهما كيف يسألان فى وقت واح ناكر ونكير لا يمكن تواجدهما فى كل قبر الموجود فى الدنيا كلها هو الله سبحانه وتعالى يطيل زكريا التأمل نظام عظيم وترتيب أروع هكذا تمسك الدنيا كلها فلا تفلّت حسنة ولا سيئة» (المرجع نفسه: ۹۷).

من الشخصيات التى يشفق الكاتب له هو "سعيد الجهينى" الذى يتّسم بيقظة ووعى، إنّه لا يخفض رأس الذل أمام الظلم والطغيان والفساد المستشرى فى البلاد ولا تستسلم لها؛ لا وبل يعلى صوت اعتراضه. فهو يمثل ذاك المثقف الذى يؤلمه الزيف فيبحث عن القيم الأصيلة ويضطرب باضطراب الواقع المتردى:

«سعید یبدو مهموما یسمع بشنق عبد قطع ید سارق ؤشهار إمـرأة ضـبطت تسرق رغیفا تقطع یدها الیسری أو الیمنی إذا وجدوا الیسری مقطوعـة مـن قبل یضطرب قلبه کفرخ صغیر لبتلّ ریشه لمـاذا یخـدث هـذا کلـه لمـاذا» (المرجع نفسه: ۲۵).

فالسلطة من وجهة نظر *فوکو* لیست ضرباً من القمـع وإنّمـا هـی منتجـة وتسـفر عـن أحداث وأشکالٍ سلوکیة جدیدةٍ. فإذا کانت السلطة منتشرة فالمقاومة یجب أن تنتشر فـی المقابل وبإمکانها أن تتمظهر فی أشکال مختلفة. فقد حلّـل جـیمس سـکوت فـی کتابـه «السلطة وحیل المقاومة» قسماً من علاقات السلطة کأن یراعی کلٌّ من الحاکم والمحکوم الآداب الکلامیة ویتظاهران بها لکنهما یتصرفان سرّاً بسلوکیات متفاوتة یعضهما مع بعض، فالشخص الضعیف یستهزئ بالقوی ویسخر منه أمام نظرائه أو یلفّق حکایات عنه. وقد عبّر هو عن هذه الحالة بـ«نقد السلطة فی غیاب المسیطر» حیث یقوم الجمـاهیر المحکومـون بتنظیم نسخة خفیة ویعیّرون فیها أعمال الطبقة الحاکمـة مـن السـرقة وتسـویف الأمـور وتأجیلها(میلز، ۱۳۹۲ش: ۷۰-۷۱). فمن هـذه الزاویـة یمثـل "سـعید الجهینـی" صـوت المقهورین والمهمشین فی المجتمعات العربیة ومصر علی وجـه الخصـوص. فإنّـه لا یقـف مکتوف الأیدی أینما وجد قهراً واضطهاداً بل یصیحه بملء فمه کلّما سنحت الفرصة:

«توجعنی المظالم لماذا یجلد الفلاحون وینکر عـالم کبیـر مـن الأزهـر أمـه جاءت من الأریاف تزوره... لماذا... لأنهـا فلاحـة کیـف أصـدق یـا مولانـا أن الناس خلقوا متساویین کیف وما حدث وما سیحدث ینکر هذا ویکذبه کیف أود لو تقدّمت الخلق أجمعین وانتزعنا کل ظلـم وفسـاد. لـیس فـی الـدیار المصریة وحدها إنّما فی الدنیا کلّها لکن أعمارنا ستضیع ولن نقدر علی هـذا (الغیطانی: ۱۲).

نتیجة البحث

إن السلطة هو مفهومٌ تأتی من علاقتها بالعقلانیة، کما تستمد فی کـل فتـرة، وضـمن العلاقات الیومیة وبناءً علی الخطـاب السـائد علـی تلـک الفتـرة، مـن الأشـکال السـلوکیة المختلفة لتضفی علی نفسها الشرعیة. فهی تتناغم مع تفاعلات السـلطة وإجرائاتهـا التـی

تخلق لها أنماطاً مختلفة تتفاوت حسب المعرفة(إبستمة) وخطاب السلطة. فقد نجحت رواية «الزينى بركات» بطريقة ذكية فى نقد العديد من الظواهر البيئية وتحديها. وفق خطاب *فوكو* للسلطة، يجادل الغيطانى إشكالية السلطة ويراها قد تمأسست فى البلدان العربية حيث تتحرك كافة العمليات والأمور نحو حالة تقود الناس إلى تبنى آمال ورغبات ترسخ السلطة وتضمن قوامها. وبالتالى تكشف الرواية عن تنظيم غير سوى عرقلت العروبة وتسببت فى إذلالها.

تعدّ مقولة التهميش من العناصر التى عالجها الراوئى فى روايته هذه كما تحظى هى باهتمام بالغ فى فكر وخطاب *فوكو* للسلطة. فالصورة التى قدّمها *الغيطانى* عن هذه الفئة تبيّن ما تتمتّع به هى من السمات والظروف؛ إنّها صورة شعب يحكمه الجهل والسذاجة وتتوزع فيه المصادر والإمكانات على أساس الولاء والانتماء وليس على أساس الجدارة والأداء كما لا يتمتع العلم والخبرة بمكانة فى هرم المعايير والقيم.

يبرهن *فوكو* على أن حيثما كانت سلطة فهناك مقاومة وبإمكانها هذه الأخيرة أن تأخذ أشكالاً عديدة. ففى رواية «الزينى بركات» يكون "سعيد الجهينى" من الشخصيات التى قاومت القهر والاضطهاد والنفاق، ولم ترضخ لها وإنّما صاحت ورفعت صوت الاعتراض والنقد فى وجهها فهو فى هذه الرواية يرمز إلى قوة الحرية والتنوير.

والأمر آلآخر هو دور المعرفة وعلاقتها مع تشكّل السلطة وترسيخها، والذى عرضه *فوكو* فى كتاباته. فمن منظور رواية «الزينى بركات» تكون الطبقة الحاكمة هى الطبقة التى قصرت المعرفة والعلم على نفسها دون الطبقات الأخرى. *فالغيطانى* فى هذه الرواية يؤكد على ضرورة الوعى والحذر مقابل ظاهرة السلطة إذ تعمل الطبقة الحاكمة أينما لزم ودعت الحاجة وفى ظرف ثقافى بحت على تثبيت حضورها، وذلك بأساليب سياسية وعقدية واقتصادية واجتماعية.

يعتبر التعارض فى حقل السلطة كذلك من المفاهيم التى لها وزنها فى تفكير *فوكو* الانتقادى للسلطة. ففى رواية «الزينى بركات» لا يزال الإيديولوجى القيمى والثورى لـ«طبقة المهمشين» يناهض ويتعارض الايديولوجى اللاثورى لـ«طبقة المسيطرين» التى تكونون أصحاب المال والقوة. وهذا الصراع يزعج عقول الناس وأرواحهم. و أخيراً يرمى *الغيطانى* فى روايته هذه إلى توضيح أن السلطة لن تتجلّى بوضوح وإنّما هى معقّدة

وغامضة وتكون على أتمّ صلة مع أصغر عناصر المجتمع. والأهم من ذلک إنّها تغير جسم الأفراد وتتحكم فيها وتبنيها. فالكاتب يهدف من وراء رسم سيماء السلطة إلى القول إنّ السلطة التى تتدارک المعرفة مباشرة هى فى حد ذاتها تخلق المعرفة.

المصادر والمراجع

استونز، راب. ۱۳۷۹ش، **متفکران بزرگ جامعه‌شناسی**، ترجمة مهرداد میردامادی، طهران: مطبعة مرکز.

اسمارت، بری. ۱۳۸۹ش، **میشل فوکو**، ترجمة لیلا جوافشانی وحسن جاوشیان، طهران: کتاب آمه.

جونز، ویلیام تامس. ۱۳۹۵ش، **خداوندان اندیشه سیاسی**، ترجمة علی رامین، طهران: علمی وفرهنکی.

دریفوس، هیوبرت وبل رابینو. ۱۳۷۹ش، **میشل فوکو، فراساختارگرایی و هرمنوتیک**، ترجمة حسین بشیریة، طهران: مطبعة نی.

زرافا، میشل. ۱۳۶۸ش، **ادبیات داستانی(رمان و واقعیت اجتماعی)**، ترجمة نسرین پروینی، طهران: مطبعة فروغی.

سعید، ادوارد. ۱۳۸۲ش، **فرهنگ و امپریالیسم**، ترجمة أکبر أفسری، طهران: توس.

سیدمن، اسیتون. ۱۳۸۶ش، **کشاکش آراء در جامعه‌شناسی**، ترجمة هادی جلیلی، طهران: مطبعة نی.

عضدانلو، حمید. ۱۳۸۰ش، **گفتمان و جامعه**، طهران: مطبعة نی.

غولدمان، لوسین. ۱۳۸۱ش، **جامعه‌شناسی ادبیات؛ دفاع از جامعه‌شناسی رمان**، ترجمة محمّدجعفر پوینده. طهران: مطبعة چشمه.

الغیطانی، جمال. ۱۳۹۴ش، **الزینی برکات**، ترجمة رضا عامری، طهران: مطبعة دنیای اقتصاد.

الغیطانی، جمال. ۱۹۹۴م، **الزینی برکات**، ط ۲، بیروت: دار الشروق.

فوکو، میشل. ۱۳۷۸ش، **مراقبت و تنبیه، تولد زندان**، ترجمة نیکو سرخوش و افشین جهاندیده، طهران: مطبعة نی.

قلی‌پور،آرین. ۱۳۸۸ش، **جامعه‌شناسی سازمان‌ها**، رویکرد جامعه‌شناسی به سازمان ومدیریت، طهران: سمت.

کجوئیان، حسین. ۱۳۸۲ش، **فوکو و دیرینه‌شناسی دانش**، طهران: مطبعة جامعة طهران.

کلی، مایکل. ۱۳۸۵ش، **نقد قدرت(بازسازی مناظره فوکو و هابرماس)**، ترجمة فرزان سجودی، طهران: مطبعة اختران.

محمدی، غفار. ۱۳۹۸ش، **قدرت در گفتمان قدرت**:
http://m-mazand.blogfa.com/post/9 ۱۳۹۸/۳/۱

میلز، سارا. ۱۳۹۲ش، **میشل فوکو**، ترجمة مرتضی نوری، طهران: مطبعة مرکز.

نظری، علی أشرف. ۱۳۹۱ش، **سوژه، قدرت و سیاست از مز ماکیاول تا پس از فوکو**، طهران: مطبعة آشیان.

وکیلی، شروین. ۱۳۸۹ش، **نظریه قدرت**، طهران: مطبعة شورآفرین.
هیندس، باری. ۱۳۹۰ش، **گفتارهای قدرت از هابز تا فوکو**، ترجمة مصطفی یونسی، طهران: شرکة شیرازه کتاب.

المقالات والرسالات

آشوری، داریوش. ۱۳۶۸ش، «**نظریه غربزدگی و بحران تفکر در ایران**»، مجله ایران‌نامه، السنة ۷، العدد ۲، صص ۴۶۰- ۴۵۴.
شوندی، حسن وکریم آزاده. ۱۴۳۲ق، «**رؤیة إلی العناصر الروائیة**»، فصلیة دراسات الأدب المعاصر، المجلد ۳، العدد ۱۰، صص ۵۹- ۴۹.
غلامی، ساهرة. ۱۳۹۲ش، «**بررسی سینمای هتروتوپیایی با رویکردی به مفهوم گفتمان قدرت فوکو**»، مجلة کیمیای هنر، المجلد ۲، العدد ۸، صص ۵۸- ۴۵.
فتاحی، سید مهدی. ۱۳۸۷ش، «**گفتمان قدرت در اندیشه فوکو**»، مجلة دانشنامه، المجلد ۱، العدد ۴، صص ۷۳- ۶۵.
فولادوند، عزت‌اله. ۱۳۷۲ش، «**میشل فوکو، رازبینی و راستگویی**»، مجلة نکاه نو، العدد ۱۷، صص ۶۲- ۲۶.
کرمانی نصرآباد، محسن وابوالفضل دلاوری. ۱۳۹۵ش، «**از ایدئولوژی تا گفتمان؛ سوژه، قدرت و حقیقت**»، فصلیة العلوم الإجتماعیة، المجلد ۲۳، العدد ۷۴، صص ۱۴۸- ۱۱۱.
مهدوی، علی. ۱۳۸۹ش، «**مفهوم استعمار و اقسام آن**»، صحیفة الرسالة، العدد ۷۱۲۰.
نادری، أحمد. ۱۳۸۴ش، «**بررسی اندیشه و زندگی میشل فوکو**»، تقریر بحثی نظری مقدم لنظریات الدکتور فکوهی الجدیدة للأنثروبولوجیا فی جامعة طهران، للماجستیر.

Bibliography

Cousins, M. and Hussain, A. (1984) Michel Foucault, London, Macmillan.
Foucault, M. (1972) The Archeology of Knowledge, London, Tavistock.
Foucault, M. (1980) Power/Knowledge, Brighton, England, Harvester.
Hale, J.R. et al. (1966) Age of Exploration, The Netherlands, Time-Life International.
Miller, J(۱۹۹۳). The Passion of Michel Foucault.
New York: Simon and Schuster
A giant, leucine. (1381). Sociology of Literature; Defending the Sociology of the Novel. Translated by Mohammad Jafar Pouyandeh. Tehran: Well, the fountain.
Al-Ghithani, Jamal (1394). Alzini Barakat, translation by Reza al-Ameri, Tehran: Approaching the World of Economics.
Al-Ghithani, Jamal (1994). Al-Zawni Barakat, T 2, Beirut: Dar al-Sharq.

Ashurian, Darius (1368). "The Theory of Westernization and the Crisis of Thought in Iran" Journal of Iranian Studies, Al-Sunni 7, al-Add 2, pp. 460-454.
Azdanlu, Hamid (2001). Discourse and Society, Tehran: By the way.
Dreyfus, Hubert Vebel Robino, Michel Foucault, Ultrastructuralism and Hermeneutics, Translated by Hossein Bashiri, Tehran: By Nay.
Fattahi, Seyyed Mahdi (2008). The Discourse of Power in Foucault's Thought, Encyclopedia Magazine, al-Majeld 1, al-Add 4, pp. 65-73.
Fooladvand, Ezzatollah (1372). Michel Foucault, Truthfulness and Truthfulness, Naqah-e-Naw Magazine, al-Adadi, pp. 26-62.
Foucault, Michelle (1), Care and Punishment, Prison Birth, Translation of Nico Sarkhosh and Afshin Jahandideh, Tehran: By Ney.
Gholami, Sahra (2013). Investigating heterotopia cinema with an approach to the concept of power discourse Foucault. Kimia Art Magazine, Al-Majeld 2, Al-Add 8, pp. 45-58.
Gholibour, Arian (1), Sociology of Organizations, Sociology Approach to Organization and Management, Tehran: Position.
Hinds, Barry (2011). Speeches of Power from Hobbes to Foucault, Translated by Mustafa Younesi, Tehran: Bookstore Partner.
Jones, William Thomas (1395). Gods of Political Thought, Translated by Ali Ramin, Tehrani: Scientific and Technological.
Kelly, Michael (1), The Critique of Power (Foucault and Habermas' Debate), Translated by Farzan Sujoodi, Tehran: According to Akhtaran.
Kermani Nasr Abad, Mohsen and Delaware, Abolfazl (1395) From Ideology to Discourse; Subject, Power and Truth, Al-Jum'at al-Jum'at, Chapter 23, al-Magdal 74, pp. 148- 111.
Kujuyian, Hossein (1), Foucault and paleontology of knowledge, Tehran: According to Tehran society.
Mahdavi, Ali (2010). The concept of colonialism and its types, Sahifa al-Rasali, number 7120.
Mills, Sarah (2013). Michel Foucault, Translated by Morteza Nouri, Tehran: Centered.
Mohammadi, Ghaffar (1398). Power in the Discourse of Power, 1/3/1398 http://m-mazand.blogfa.com/post/9
Naderi, Ahmad (1), The Study of the Thought and Life of Michel Foucault, Approximation of the Opinion of the Doctor of Fine Arts in the World, Tehran, Llegmaster.
Nazari, Ali Ashraf (1391), Subject, Power and Politics from Mecca Mull to Post Foucault, Tehran: By Ashian.
Saeid, Edward (2003). Culture and Imperialism, Transcendental Translation, Tehran: Birch.
Sidman, Acitone (2007), Controversy in Sociology, Translated by Hadi Jalili, Tehran: According to Ney.
Smart, Barry (19), Michel Foucault, Translated by Leila Jawafshani and Hassan Javoshian, Tehran: Ameh Book.
Stones, Rob (1379), The Great Thinkers of Sociology, Translated by Mehrdad Mirdamadi, Tehran: Centered.
Shavandi, Hassan and Azadeh Karim (1432), A Look at Fictional Elements, Journal of Contemporary Literature Research, Volume 3, Number 10, pp. 59-49.
Vakili, Sherwin (1), Theory of Power, Tehran: Consequently passionate.
Zarafah, Michelle (1368). Fictional literature (novels and social reality). Translated by Nasrin Parvin. Tehran: Foroughi, of course.